

فصول في التاريخ الطبيعي

نشوء الانسان في عصوره الاولى

بعد أن نشر العلامة شارلز داروين كتابه « أصل الأنواع » في سنة ١٨٥٩ دُثِبَ على التأمل العلمي العميق ليطبق مذهبه في تباير الأنواع ونشوءها على الانسان وما زال يعالج الموضوع حتى سنة ١٨٧٤ إذ استطاع أن يطبع كتابه « أصل الانسان » فقال في مقدمة الكتاب :

« ان الغرض الأول من تأليف هذا الكتاب ينحصر في النظر - أولاً - فيما اذا كان الانسان كبقية الانواع الحية قد تسلسل من صورة كانت موجودة من قبل ثم افترضت - ثانياً - في المتجه الذي اتجه فيه الانسان ماضياً في النشوء والتحول - ثالثاً - في قيعة الفروق الحقيقية الكائنة بين ما يدعوه الباحثون بالسلالات البشرية » .

ولقد جاء هذا البحث بعد أن أثبت العلامة الفرنسي « بوشيه دي پرت » و « سر » « ليل » وسيرجون لوبوك والعلامة هكسلي قدم النوع البشري ، وبعد ان قضى هكسلي من طريق تشرح المقابلة - « بان مباينة الانسان للقروود العليا ، أقل من مباينة القروود العليا لمراتب الريمات الدنيا » .

استكشف في جزيرة جاوه هيكل بشري هو في الواقع حلقة بين أحط السلالات البشرية وأرق أنواع القروود العليا . ولقد عاش هذا النوع في تلك البقاع في العصر « البليوستيسيني » ، فاستطاع الباحثون بعد العثور على آثاره العظمية أن يضعوا قاعدة للبحث في البقعة التي شهدت نشوء الانسان فوق الكرة الارضية . فان الحفريات التي عثر عليها مطمورة في طبقات العصرين الثالث والرابع من العصور الجيولوجية في أواسط أفريقية ، اما ناقصة تقصاً كبيراً واما هي في حكم العدم الصرف ، تبعاً لتاريخ تكوين القارة الافريقية

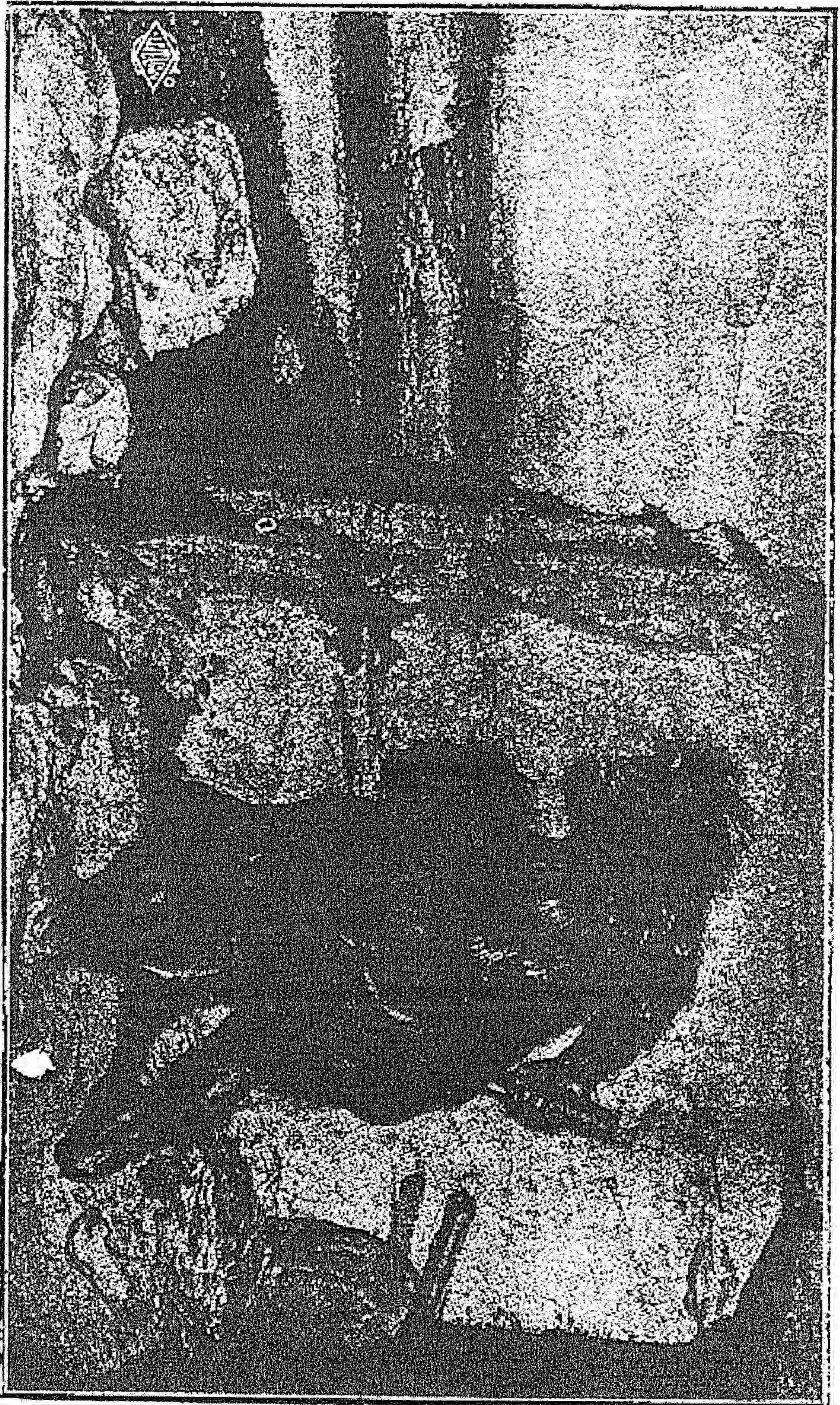
جيولوجيا ، حتى انه يتمذر على العلماء أن يحكموا حكماً قاطعاً فيما اذا كانت إفريقية قد عمرها نوع من الاحياء يقارب الصورة البشرية ، أحط تكويناً من البوشمان وأقزام الكونغو . اما في شمال افريقية فقد عثر على آثار تدل على سابق وجود النوع الذي يسمى اصطلاحاً « هوموبريميغنيوس » وهو عين النوع الذي عاش في نياندرتال وكوريز وجبل طارق بأوروبا . (ويلاحظ هنا أن البوشمان وأقزام الكونغو والسود من نوع آخر يقال له هوموسابينز (Homo Sapiens)

أما اذا انتقلنا الى أوروبا فلنا نعرثر على بقايا قرد راق يدعى اصطلاحاً دريوبتكوس Dryopithecus بل نثر على صورة قريبة جهد القرب من انسان جاوة الذي يدعى بشكاتروبرس ethicanthropus . اصطلاحاً ، هي من أحط الصور البشرية . مع انها تابعة للجنس - هومو - Homo اي انسان - اصطلاحاً . وهذه الصورة ولو انها قد اعتبرت نوعاً قائماً برأسه هو نفس النوع الذي نعرثر على بقاياه في أوروبا (هوموبريميغنيوس) الا انها قريبة جداً من النوع الذي يعيش في أواسط افريقية (هوموسابينز)

ان حجم الجمجمة في هذا النوع وتفاصيلها تشابه في ظاهرها جمجمة الغوريلا في تدلى حاجب الجبهة وبروزه وتسطح الجبهة ذاتها وكبر الانف وصغر الذقن . أما الاسنان فليست أقل شياً بأسنان الغوريلا من أسنان سكان أستراليا الاصلين في العصر الحاضر . والظاهر أن سكان أستراليا ، السود هم أعقاب نوع الهوموبريميغنيوس ، واذا أردنا أن نعرف الصورة التي كان عليها هذا النوع في أوروبا فعلياً أن ننظر في السلالات الشبيهة بالأوسترالية والتي تهذبت قليلاً بحكم التطور عن أصولها الاولى .

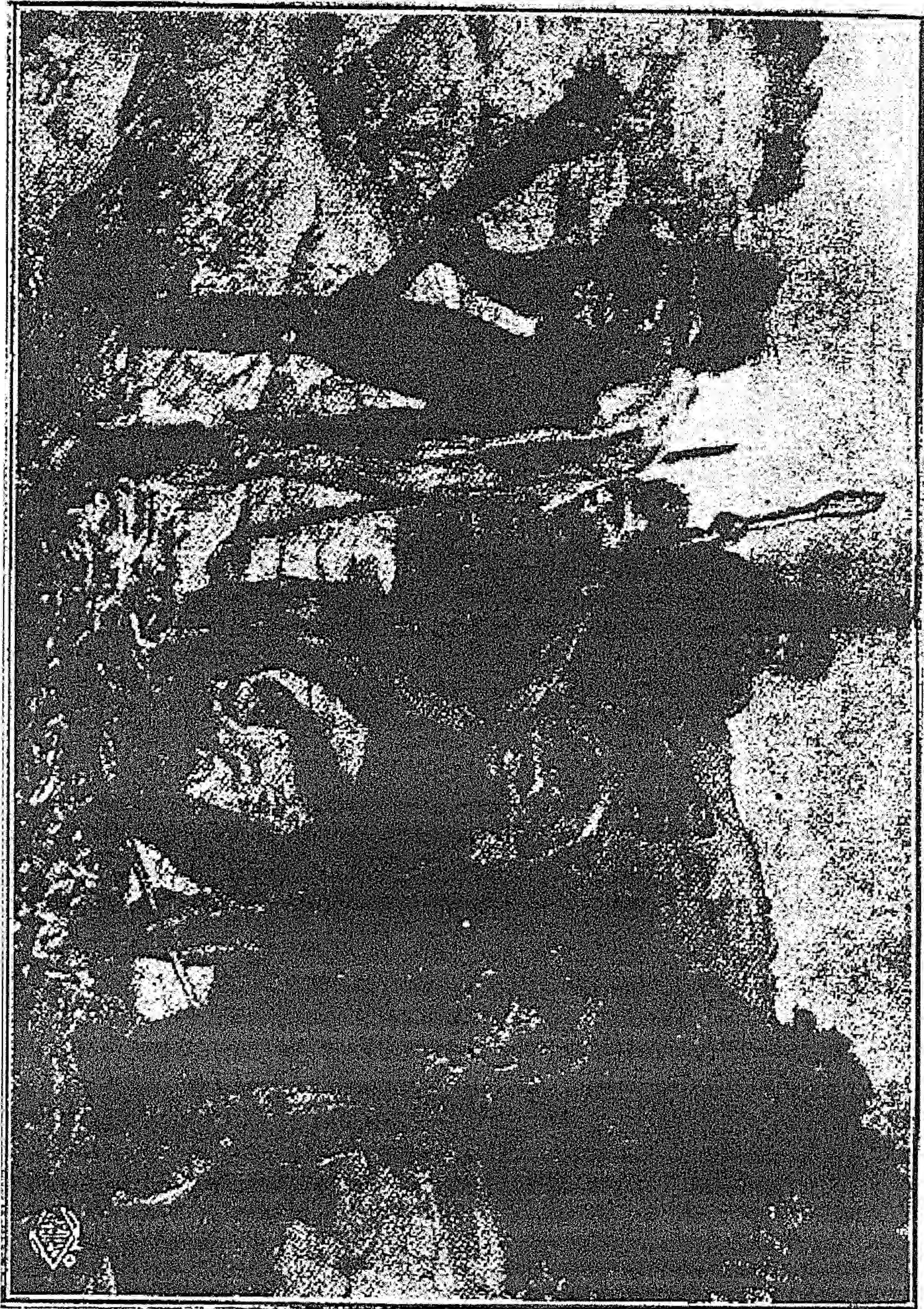
أما السود الافريقيون الذين يعمرون أفريقية من جوف الصحارى الى بلاد الكاب - لأن البوشمان تنوع من السود - ففيهم كثير من صفات

رسم تخيلي لآدمان الكهوف الذي يجتمعونه في مظلمة كوريث بنفرتسا



القردة العليا ومظاهرها ، غير أنهم أخذوا يتميزون كسلالة بشرية قائمة بذاتها منذ أزمان بعيدة ، في حين أنه لا يشك أحد من الباحثين في أنهم متسلسلون عن نوع الهومو برثيغينوس ، ويرجح أنهم نشؤوا أصلا في بلاد الهند

والعبيد ليسوا بأكثر من نواع متفرع من نوع « الهومو ساينز »
ويجمعهم بالاوروبيين والمغوليين أصل واحد عنه تفرع الجميع .



« هومو بريميجينوس - Homo primigenius - » أى الانسان الاول . وهو
النوع الانسانى الذى عاش فى العصر البليوستيسينى فى أوروبا أو الانسان النياندرتالى .

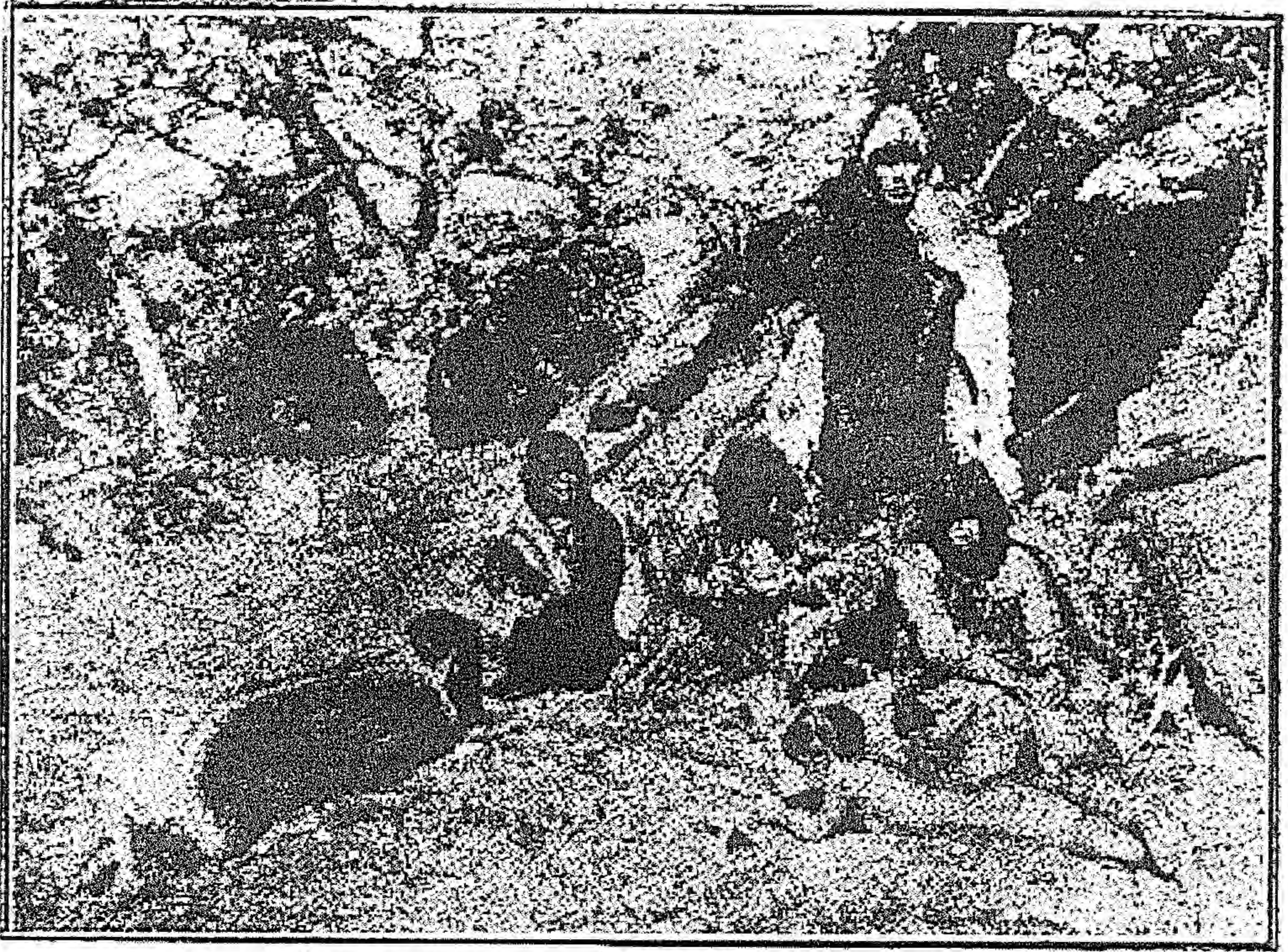
على أن كل الدلائل العلمية تدل على أن الانسان قد تسلسل عن صورة
« أنتروبيودية » - أى قردشبيه بالانسان - فى بقعة من بقاع الهند أو

ها يقاربها . فقد استكشف مستر « ليديكار » جمجمة حفريّة لصورة من صور القرو والعليا أطلق عليها اصطلاحاً اسم « باليوبشكوس Palaeopithecus » في أسنانه من المشابهة لاسنان الانسان ما ليس في غيره من الصور الانثروبودية . وهذه الصورة تتصل من جهة بالشمبانزي ومن جهة أخرى بالاوران أوتان ويرجع أنها هاجرت شرقاً إلى « جاوة » وهناك نشأ عنها نوع « البشكاتروبوس » .

ان صفار الاوران أوتان تكون جماجمها مشابهة للجماجم البشرية مشابهة عجيبة . ولكن جماجم الافراد البالغة منها تكون بعيدة عن الجماجم البشرية ، مما يدل على أن النوع أخذ في الانحطاط منذ عصر قريب . وهذه الحقيقة تصدق على نوع الغوريلا في أفريقية ، صدقها على الاوران أوتان في آسيا . فلا يبعد مطلقاً أن يكون قد نشأ من نوع البشكاتروبوس في شبه جزيرة الملايو أو في الهند أو في جاوة نوع آخر هو نوع الهومو أي الانسان . وكان ظهور هذا النوع في مبدأ الامر كمثال شائع بين نوعه الأصلي ، فسماه الباحثون في العصر الحاضر « هومو بريميغنيوس » . والظاهر أن بلاد الهند وهي أغنى بقاع العالم بصور الاحياء وفيها تأصلت نصف أنواع الحيوانات التي تعيش في الدنيا القديمة ، قد كانت أيضاً المهد الاول الذي نشأ فيه الانسان من الاسرة السميانية - Simian Family - وفوق ثراها وقعت التغيرات الطبيعية التي طرأت على نوع الهومو بريميغنيوس فكان منه نوع الهومو ساينز ، وكذلك التغيرات التي وقعت على النوع البشري الاخير ، فكان منه تنوعات النوع البشري الاولى ، التي تأصل منها السود والنوع القوقاسي الاول - وكان يشابه الاوستراليين السود - وسلالات المفلول ، ومن هناك هاجرت السلالات منتشرة في سطح الكرة الارضية ، إلى الغرب والشرق وإلى الشمال الغربي وإلى الشمال .

ولقد اعتبر الباحثون نوعي الهومو بريميغنيوس والهومو ساينز تنوعين من النوع الانساني لان لها كفاءة حجمية تبلغ ٩٠٠ سنتي متر مكعب
٩٢ - ١٤٤ ع

وكانت أفرادها منتصبى القامة ، مع إبرام القدمين أقل أو أكثر انقراجاً عن أصابع القدمين ، كيفما اقتضت الظروف . هذا عدا المشابهة فى الأسنان ، وفى الأنياب والأضراس ، وكذلك فى الأنف وكثير من بقية الأوصاف فى المخ

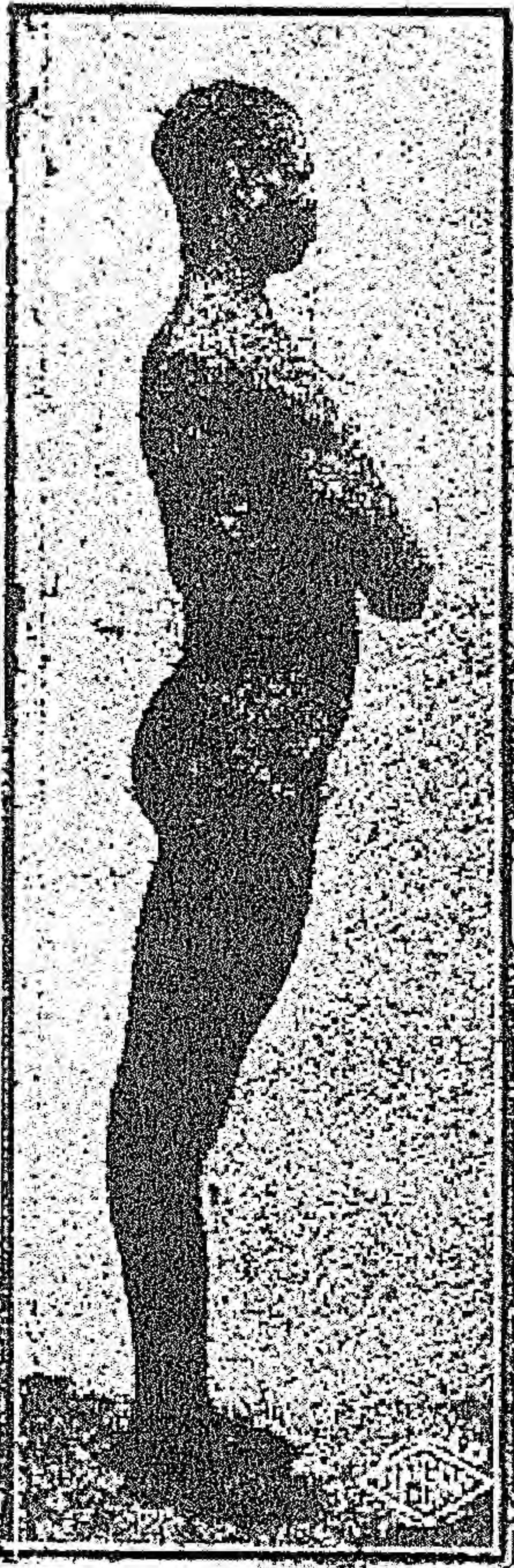


٣ - اسرة فى جزيرة تيرا دافويجو فى العصر الحاضر ومن شكل معيشتها تدرك كيف عاش الانسان فى العصر الحجري .

والعضلات والوظائف النفسية ولوجية والتناسلية . كما كانت اجسامهم أقل اكتساء بالشعر من غيرهم من السلالات ، ولو أنهم أغزر شعراً من انسا لهم الذين نعثر عليهم فى العصور الحديثة . وكذلك الحال فى الشوارب واللحى ، فأنها تنبت فى وجوه ذكورة هذين النوعين لدى البلوغ ، وعندها يخف الشعر الذى يكسو الظهر من مؤخر العنق الى العقبين بصورة ظاهرة .

ويرجح الباحثون أن البشكانتروبوس قد استعمل الادوات الطبيعية كقطع الاحجار يقذف بها دفاعاً عن نفسه ، والاصدا ف يتخذها وسيلة

للقطع ، والعصى للضرب والجلاد . غير أن نوع الهومو سابينز قد حسن في هذه الادوات كثيراً بالصناعة وجعل منها أدوات تؤدي اغراضاً كثيرة كان يحتاج الى تأديتها . فصنع أنواع السلاح ومختلف العدد التي أخرجته من حظيرة الحياة الحيوانية الى حظيرة أرقى ، وهيأته بظروف تميزت فيها حياته بميزات جديدة .



فأما بلغ نوع الهومو سابينز هذا المبلغ من الرقى في استعمال الادوات اضطرت الانواع الاخرى أن تخلى له الطريق لأنها كانت عاجزة عن مقاومته فتركت له موطنه الاسيوى وهاجرت الى أستراليا وأروبا وشمال أفريقيا ، وعلى الأرجح الى شمال آسيا الشرقى ، ولم يصد هذه الانواع لدى هجرتها الأولى عن أن تبلغ أقصى حد ممكن من شمال الكرة الأرضية الا البرد القارس الذي كان يغشى شمال الارض في العصر البليوستيسيني .

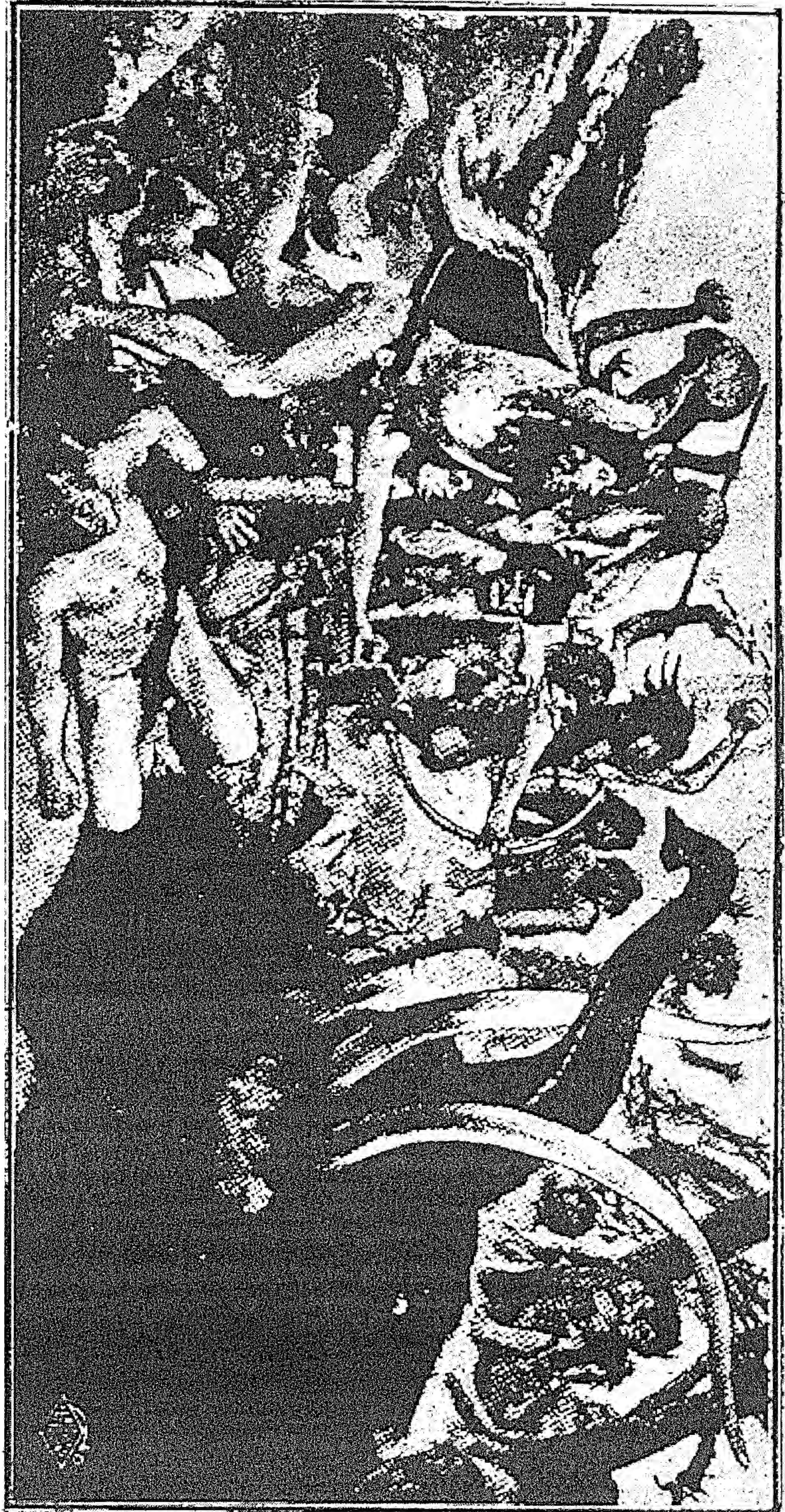
أما نوع « الهومو سابينز » فلم يصده شئ من الارتقاء صاد ولا وقف دونه مانع مهما كان أثره . فقد كانت العوامل الطبيعية دافعة له على التفكير فاستكشف النار وارتدى بفراء الحيوانات السمكية ، وابتنى الاكواخ التي تحميه من هجمات الطبيعة

٤ - عبد من عبيد افريقية

في فصولها المتغيرة . على أن الانسان عندما نشأ وهو مثل نسلالة التي تعمّر هذه النشأة الاولى قد واجهته الطبيعة باعداء كثيرة الكب

العدد متباينة الصور . أما شد هذه الاعداء لدادة فكانت صور الحياة الدنيا ، الميكروبات والديدان والهوام . أما اعداؤه الاقوياء فاستقوى عليهم بالتعاون الضامى وبالعقل وبالآلات التي اخترعها . وأما الاعداء « الصغيرة » فقد زودته الطبيعة بقانونها الانتخابى يفنى ما طاح ويبقى على مصلح ، حتى اكتسب حصانة ضد الامراض التي تحدثها أكثر هذه الاعداء ، ولم

ينخرج من هذه المعركة الا ظافراً وليكون سيد الارض والبحار والهواء
في العصر الحديث



معركة حامية الوطيس بين الانسان في عصوره الاولى وبين عموت مأسور